توظيف (الألفاظ والتراكيب) من السياق القرآني في شعر هيثم الزبيدي.

إسراء محسن حاتم

Esraamhsn294@gmail.com

أ.د. يحيى ولي فتاح

yahiawalie@yahoo.com

جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد / قسم اللغة العربية

الملخّص:

يعتبر الذكر الكريم بشتى ألفاظه وتراكيبه من أهم الوسائل الثمينة التي عول عليها الشعراء وتحديدًا شعراء العصر الحديث؛ لأنه الكلام الرباني المنزل على صدر النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم)، وحظي بتلك الهالة لبلاغته، وفصاحته، ورقي ألفاظه وكيفية تلاحمها في نظام الجملة بطريقةٍ مفعمة بقوة التأثير والفاعلية، ومثل من أهم الأركان الرئيسة والأولية في تركيب القصيدة الحديثة، ومصدرًا لا ينقطع في إلهام الشاعر، وذلك الحضور اتكأ بالجانب الأول على حذاقة الشاعر، ونبوغه ورصانته في تلوين نصوصه من فيض تلك القداسة، وظهر لنا ذلك في نتاج الشاعر العراقي هيثم الزبيدي، إذ غمر نصوصه من فيض القرآن الكريم، وتباينت بين الألفاظ والتراكيب، وسعى إلى تمازجها مع مفرداته الشعرية بذوقه السامي ورونق تخيره من ذلك الموروث، فضلاً عن لغته القريبة من المتلقين، وانصبت دراستنا إلى بيان الآلية التي اعتمدها الزبيدي في استحضاره لتلك التراكيب والألفاظ القرآنية وكيف تمكن من خلالها في التصريح عن خلجات نفسه، مستنكرًا فيها واقعه، وواقع مجتمعه العراقي الأليم.

المقدّمة:

يعتبر الموروث الديني عند الكثير من الشعراء مرجعًا متمايزًا عظيمًا، إذ يعتمدون عليه في خلق نتاجهم الشعري لأنه يمنح أعمالهم الأزلية دون انقطاع بين شعراء عصرهم، بهدف إيصال مبتغاهم وغرضهم إلى نفس القارئ، وإلى بيان أهمية وقيمة الدين الإسلامي لأنّه متجذرٌ في خبايا الروح الإنسانية السامية (السواح، ٢٠٠١م: ٢١٧)، فهو مصدر" تراكُمي، ثقافي وعقائدي وعرفي، يتراسل تاريخيًا ويتناسل وراثيًا، ولا يُنظر إليه على أنه موروث متحفي فقط، يحتفظ بمخزوناته النصّية ومنقولاته التراثية القديمة الغابرة، سواء كانت جيدة أم رديئة، لذلك فإن التراكُمات المعرفية الدينية التي تستجد على الموروث ذاته ...تعتبر هي الأخرى في العرف الديني موروثًا دينيًا" (http://www.maaber.org/issue)، وأكبر مرجع "للخلفية الروحية والعقائدية" (جزيني، ٢٠٢٣م:٤٦)، والشعراء جعلوا من توظيفهم لذلك الموروث ملجأ وجدانيًا، يعبرون بواسطته عمّا يدور في خلجات أنفسهم من مشاعرٍ وغايات وأفكار مختلفة، ومادة ذلك الإرث المقدس ودعامته الرئيسة هو الدين الإسلامي الحق ذات الأمانة والمثل السامي، والذي يتلاحم ويأتلف مع مقتضيات العيش برغم التغييرات التي تحدث (متلف، ٢٠٠٧م:٨).

ويتعمد الشعراء إلى "استلهام المضامين البارزة في تعاملهم مع المقدس الديني، فيمنحوه بعدًا، يجعله قادراً على

تجاوز عصره، ويحققون له قدرة الحضور المستمر على أداء الحدث، مضيفين إليه من تجربتهم الذاتية ما يكسبه صفة العصرية الجديدة بمعنى أنه يمنحوه دلالات جديدة تتلاءم مع روح الواقع" (العياضي، ٢٠١٤م: ٣٤٩)،

وفي واقع الأمر اتَّخذ الشعراء من تضمينهم للألفاظ والقصص والتراكيب غاية بحد ذاتها؛ للتعبير والإفصاح عن

رأيهم وخبراتهم الخاصة فضلاً عن حاضرهم الذي يعاصروه؛ لأن الدين يعدُّ المنبع الأول لدى الشعراء من جانب انتخابهم للعنوانات وفي تشكيلهم للنماذج الشعرية، بالإضافة إلى إلهامهم شعريًا بشتى شخصياته وموضوعاته المقتبسة من الذكر الكريم (زايد، ١٩٩٧م: ٧٥).

وتجدر الإشارة إلى كيفية استعمال الشعراء لأساليب التغيير، في أثناء توظيفهم للنص الديني بشكلٍ يتلاءَم مع نصهم الشعري، من ناحية البناء والأسلوب والشكل؛ ليخرجه بصورةٍ فنية كاملة ومؤثرة إذ تثير في نفس القارئ الكثير من الاستعلام عن ذلك الإرث المعرفي الثمين (ثليثة، ٢٠٢٢م: ٤٨٧/٤٨٨)، وتنوعت صور التوظيف لدى شعراء الحداثة بين الإيحاء والاستدعاء لغايةٍ قد تشابهوا جميعهم فيها، ألا وهي اغناء نتاجهم الشعري بذلك الكنز المقدس من عنوان القصيدة حتى نهايتها، فذلك يشير إلى ذائقتهم الدينية الكامنة في نفوسهم باستدعائهم للنصوص السماوية (البنداري، ٢٠٠٩م: ٢٥٨)، وهكذا يتضح لنا المصدر والمرجع الأساس الذي عول عليهِ الشعراء، والأدباء ألا وهو كلام الله تعالى والمتمثل بالذكر الحكيم بالإضافة إلى الكتب السماوية الأخرى ومنها: التوراة، والإنجيل، والأحاديث النبوية الشريفة، المنصوصة عن أهل البيت والصحابة –عليهم السلام– (ثليثة، ٢٠٢٢م: ٤٨٩).

ولكي يبلغ الشاعر الخصوصية والتفرد في حديثه الشعري إذ يعمد إلى التصريح الديني؛ لكون نظرته الدينية على تمازجٍ مع نظرته الفنية معبرًا بواسطتها عن خضَم تجاربه، الفكرية منها والدينية (قاسم، ٢٠٠٥م: ٢٦٢)، ونلاحظ مدى قابلية النصوص القرآنية سواء أكانت الفاظاً، أو تراكيب لغوية، بالإضافة إلى القصص والشخصيات الدينية فجميعها تقبل البيان والتحليل، ويعتمد ذلك على ثقافة المتلقي ودرايته، وعلمه، ومدى مقدرته على فهم وتأويل الذكر الحكيم؛ وذلك التلاحم جاء في سبيل خدمة النظرة النصية (شبانة، ٢٠٠٧م: ١٠٩٤)، لأن المتأمل في "القرآن الكريم يجد الربط بين آياته ما يعجز البشر، فهذا النظام العجيب والأسلوب البديع، أعجز فصحاء العرب وأصحاب البيان، فقد تشكل بأسلوب يختلف عما كان شائعا عندهم من الشعر والخطب وغيرها" (طاهر، ٢٠٢٢م:٣١).

الكلمات المفتاحية: الألفاظ القرآنية، التراكيب القرآنية، هيثم الزبيدي.

مشكلة الدراسة: لقد طرح هذا البحث الكثير من الجوانب الاجتماعية، والتي عالجها الشاعر بواسطة بثها إلى حيز الواقع العراقي، برغبة تحسينه نحو الأفضل بسبب الصعوبات والظروف القاسية التي تعرض لها.

أهمية الدراسة: انصبت دراستنا إلى بيان الآلية التي اعتمدها الزبيدي في استحضاره لتلك التراكيب والألفاظ القرآنية، وكيف تمكن من خلالها في التصريح عن خلجات نفسه.

إجراءات الدراسة: سار هذا البحث وفق المنهج الوصفي مشفوعاً بالتحليل في الكشف عن غرض الشاعر.

أولاً/توظيف (الألفاظ القرآنية):

إن للقرآن الكريم نهجه وأسلوبه الخاص في استعماله للمفردات، إذ تؤدي المفردة الواحدة معناها بالشكل المضبوط ضمن صددها اللغوي القرآني وأشار لذلك ابن الأثير قائلاً: "فاعلم أن الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر، فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي...لين وأخلاق ولطافة" (شراد، ١٩٨٧م:٦٧)، ويلاحظ مدى فاعلية النغم الموسيقي، الخاص بجميع ألفاظ وتراكيب الذكر الحكيم، وكيفية تأثيره على ذهن السامعين بصورةٍ تشدُ عقولهم، وتثير في دواخلهم العديد من التفاسير لتلك المعجزة الربانية الأبدية (خليل، د.ت: ٢٣٧)، وهذا ما "يثير التَّشويق ويلفت ذهن السَّامع أو المتلقي... فقد يقوده هذا التأمل والتفكير والتدبر قد يقودانه إلى عدة أسرار" (عبد النبي، ٢٠٢٢م:٢٣)، فيشير ذلك لمدى قوة الألفاظ القرآنية وشدة نفوذها، في أثناء تلاحمها ودخولها في حيز النص الشعري مع المفردات الأخرى، إذ تعطي للمتلقي رؤية بأنها تراكيب قرآنية بحتة من القراءة والوهلة الأولى، وفي الحديث عن الأسباب التي دعت الشعراء لذلك التوظيف القرآني، والتي تمثلت بجمالية التشكيل الفني/الجمالي والذي يعتبر أحد أساليب القرآن "فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة...وأدركنا بعض أسرار الإعجاز في ذلك اللون من تعبير القرآن" (قطب، د.ت: ٣٧/٣٦)، وجميع تلك الصور ترمز إلى حركية ألفاظه، فهي ليست ألفاظاً جامدة بل لها مبتغى تطمح في تحقيقه باعتبارها "تصوير حي منتزع من عالم الأحياء لا ألوان مجردة، وخطوط جامدة، تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات، بالمشاعر والوجدانيات، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حيّة، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة"(قطب، د.ت: ٣٧/٣٦).

وبطبيعة الحال تفاوت الشعراء فيما بينهم، من ناحية توظيفهم لتلك المفردات القيمة، إذ منحت نتاجهم الشعري التميز، والانفراد، دون شعراء عصرهم فضلاً عن الأهمية الفنية، ونلحظ أحياناً تكرار المفردة القرآنية الواحدة من مطلع القصيدة إلى نهايتها، فالغرض واضح من تلك المعاودة الا وهو التأثير بالمتلقي وللتمرس بالصور العربية الفصحى، ويرتكز ذلك على مدى اقتناء الشاعر لأدوات التعبير المختلفة والتي تمكنه من الوصول للمقصد الذي يتوق إليه (الشهري، ١٤٣١هـ: ٩٠٩)، ومن الألفاظ التي استوحها الشاعر من الذكر الحكيم ومنها في قصيدته "لو أن بعضاً من عبيركِ زارني" (الزبيدي، ٢٠١٣م: ٦٩) بقوله:

لي محضُ عصفورٍ أنا

ولكِ السماء

لي حفنةٌ من عطر أمٍ ذابلٍ يرثُ الشتاء...

لي نجمةٌ تهدي سواي

إلى سواي

أوشكت أن أومي بها للناسِ

فانكسرتْ عصاي...

هَدّئي من روعِ هذا الليلِ

وانتظري، على جوعٍ، خطاي

فلَرُبما عادت عصافيرُ الجنوبْ

ولربما اخضلَّتْ مفاتيح القلوبْ (الزبيدي، ٢٠١٣م: ٧١).

واستقى لفظة (عصاي) من قوله تعالى: "وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى" (سورة طه، الآية:١٨) وتُمثَّلُ (عصا) موسى (ع) إحدى المعجزات التي استحضرها الذكر الكريم، فـ(العصا) كانت بمثابة الإجابة على قومه حين سألوه عنها وهي بمثابة الرمز على مدى برهانه لنبوءته، وكان غرض الشاعر من توظيفه لعصا النبي موسى (ع)، فهي علامةٌ أشارت إلى إصراره، وعزيمته، في تغيير واقعه وتحسينه نحو الأمثل؛ نتيجة الطعنات التي تعرض لها في حياته، ورغم استعانته لتلك العصا في التغيير والرقي لكنها لم تجد نفعاً بقوله:" فانكسرتْ عصاي..." (الزبيدي، ٢٠١٣م:٧١) فانكسار العصا دل على تحطم تطلعاته وأحلامه التي كان يرغب في تحقيقها فتحطمت تلك الآمال بتهشم تلك العصا. ويواصل الشاعر استحضاره للألفاظ القرآنية ومن ذلك لفظة (الفجر) التي وردت في قصيدته بعنوان "صلاة الفزع" (الزبيدي، ٢٠١٣م: ٤١)، والذي كررها أكثر من مرة في المكان عينه قائلاً:

لم أقل إن الحياة حماقةٌ كبرى يوشحها السوادْ

ولم أقل إن المآذن تطردُ الغيم البليد

فلا يَمُرّ على قرانا...

لم أقل إن القصائد نسوتي

والنخل يحملُ فوقهُ سقفَ السماء..

والفجرُ عند الفجرِ أطلق ضحكة خرساء فاغتيل القطا

أنا ما سرقتُ سوى عصاك

وعدوتُ حتى مزّق الخوفُ حياتي ... (الزبيدي، ٢٠١٣م: ٤٢).

وجاءت لفظة (الفجر) الواردة في قوله العظيم: "وَٱلۡفَجۡرِ(١) وَلَيَالٍ عَشۡرٍ (٢) وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ (٣) وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ (٤) هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ (٥)" (الفجر، الآية: ٥/١)، بمعنى خروج (النهار)، أي انحلاله عن الليل وأيمن الله تعالى بـ(الفجر) في مطلع هذه السورة المكية، وفيها علامات كثيرة تضمنها معناها ومنها ذكر إفزاع يوم الحشر، بالإضافة إلى أنواع العذاب الذي لحق بالأقوام السالفة؛ لانتهاكهم أوامر الله تعالى ومحاربتهم لكثير من الرسل والأنبياء، وعدم الرضوخ لخطابهم (ابن كثير، ٢٠٠٠م: ١٩٩٣/١٩٩٠)، وعليه فعنوان القصيدة "صلاة الفزع" كان جديراً بالإشارة إلى ذلك الخوف والحزن المهيمن على نفس الشاعر لما جرى لوطنه، فالشاعر رسم بذلك التوظيف صورة لوطنه، وهو يقتلُ في انبلاج الفجر، وشبه اغتياله بطائر (القطا) المهاجر ونتيجة تلك الخسارة كأنه فقد جميع آماله بسبب ذلك الفقد واستأثر عليه شعور الحزن والسئم، وظلت نفسه متأسفة متخبطة. وفي قوله:

في واحة القلق المهاجر في حقائبنا

ويمشي خلفنا.. رافعاً كفّيه مضطرباً

وحين يُصَفّرُ الحراس ترتجفُ الحقائبُ

أينما تمشي الحقائبُ يزدريها الناظرون

وأينما نمشي فثمة من ينادي خلفنا:

فلتحذروهم.. واحذروهم.. واحذروا..

كانت شجيراتٌ على صبح الطريق يهُزُّها شوقٌ لرائحة

الجنود (الزبيدي، ٢٠١٣م: ٤٧/٤٦).

ونلحظ أعلاه، مدى معاودة الشاعر للفظة (احذروهم) فهي نوع من الإنذار والتهديد مع وجوب احتراز الخطر المحدق بالراحلين نحو (الحرب) ومنه قولهِ تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (التغابن، الآية: ١٤)، وأرسل الله تعالى تلك الآية القرآنية على النبي الآمين محمد(ص) وخص فيها من هاجر معه إلى (المدينة المنورة)، وكان نساؤهم، وابنائهم، منعوهم من الهجرة مع النبي الأكرم، خوفاً عليهم وعدم مقدرتهم على فراقهم وعليه فقد وصفهم الله تعالى بـ(الخصم

لأنهم خالفوا أوامر النبي (الجوزي، ٢٠٠٢م: ١٤٤٣/١٤٤٢)، مع وجوب الصد عنهم وعدم الانصياع لكلامهم فالشاعر قصد من ذلك تصوير طريق الراحلين لساحة القتال كاشفاً بذلك الخوف المرسوم عليهم وهم يلتفتون يمينا ويسارا ويشوبهم الفزع والرعب بقوله:" ترتجف الحقائب" مع اصفرار وجوههم خوف الموت، فضلاً عن خشيتهم لتركهم اهليهم من زوجاتهم وابنائهم، ويتضح لنا غاية الشاعر من ذلك التكرار ففيه إشارة واضحة إلى حدوث شيء ما مكروه، فهو تنبيه لهم من أجل اعتمادهم الحيطة والحذر من عدوهم، الذي يتربص ويكيد بهم مع وجوب الاستعداد والاجتهاد الكلي لملاقاته. وفي موضع آخر يكرر استعماله أساليب الآمر باعثاً بدورهِ روح العزيمة والإصرار في نفوس المجاهدين دفاعاً عن أرضهم وشعبهم واستقلالهم فيقول:

ما قال لي أحدٌ كفرت

أصابعي شهدتْ علي

أظافري شهدت على ما قد جنيتْ

صيّرتُ من طين الجنوبِ إلهةً وصنعتُ بيتْ

ورحت أصرخ يا بني أرضي اركعوا

هيا اركعوا

ذي كعبتي ولها عصافيري تحجُّ

وهنا اسجدوا إذ ها هنا قتلوا أبي

وهنا أموت

وهنا سيورقُ فحلُ توتْ

وهنا مقابرنا تضجُّ (الزبيدي، ٢٠١٣م: ٩٥).

ونرى توظيفه للفظتي (اركعوا) و(اسجدوا) وهما من أركان الصلاة الوارد ذكرهما في (سورة الحج) من قوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ" (الحج، الآية: ٧٧)، وفيهما إشارة بيّنة في التوكل على (الله) تعالى والتوسل و التقرب منه بـ(العبادات) وفي مقدمتها (الصلاة)، لذا فقد حث الشاعر أبناء وطنه من المقبلين على الحرب والتي أومأ إليها بـ(أصرخ، وقتلوا، وأموت، ومقابرنا) دفاعاً عن جنوب بلادهم بالتضرع والتوجه لله والتقرب إليه بـ(الصلاة)؛ لأنها أساس غلبة العبد في حياته، واقتصر قوله بـ(السجود والركوع) دون أركان الصلاة الأخرى؛ لكونهما يمثلان أفضل فقراتها وأكبر حجة على طاعة المخلوق للخالق تبارك وتعالى، والالتزام بأوامره لأنه لا ملجأ إلا إليه سبحانه في الهناء والمشقة، ويعرض لنا الشاعر

صورة تكشف عن أزمته النفسية جراء مغادرته لموطنه (العراق) قائلاً:

فبأيُّ مشكاةٍ سأهتكُ هذه الظلمات في عينيكِ

يا جرفين بينهما قصيدة؟

وبأي قاطرةٍ سألحقُ ركبَ من طفقوا إلى واديكِ

يعتصرون أغنيةً جديدة؟

وبأيَّ صندوقٍ سيحمل عطركِ ساعي البريد؟

أنا أينما شاهدتِ نهراً ظامئاً هذا أنا

أنا أينما أبصرتِ نخلاً خائفاً بين الخيام فذا أبي

أنا أينما أبصرت أحراشاً من البردي تنوح فتلك أمي

فبأيَّ بستانٍ سأغزو لوعة الصحراء (الزبيدي، ٢٠١٣م: ٥٧).

وأورد الشاعر لفظة (مشكاة) في مطلع نصه الشعري من الذكر الحكيم: "ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ" (النور، الآية:٣٥)، متخذًا من (المشكاةِ) نوراً يسطع قتام عينيه التي ذبلت؛ نتيجة حزنه بفراق أهله وأحبته، ونلاحظ في النص توظيفه لعدد من الرموز الدالة على مسقط رأسه ومنها:(نهراً، وبردي، وجرف، وبستان) فتلك إشارات إلى نشأته في جنوب العراق، وهي بذلك تمثل شوقه وحنينه لتلك الذكريات التي يستردها كلما أبصر: نخلة، أو خيمة، أو نهراً في طريقه، ففي مناجاته وشجنه الظاهر طلب بالعودة لوطنه؛ ليشبع بمشاهدته بصره الظمآن، وفي قصيدته بعنوان "قرابين" (الزبيدي، ٢٠١٣م،: ٣٥)، يوحي الشاعر لنا صورة تمثل اشتياقه للقاء محبوبته، بقوله:

يا من لا أدري أيَّ الصلوات تحبين

تتكسر أضلاع البردي في أحداقي

أغرسُ في وجنتكِ اليمنى غيماً

في اليسرى صبّاراً أعمى

تنبثق الساعةَ من شفتيكِ

أنهار الخمر

في هذي الساعة من ساعات العمرِ

أتوجه صوبكِ

لا أدري

كيف إذا وَطِئتْ قدماي الفردوسَ

وكنتِ غائبةً

سأُصلّي؟؟ (الزبيدي، ٢٠١٣م: ٦٢).

فاقتبس لفظة (الفردوس) من قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلً" (الكهف، الآية: ١٠٧)، ويفسرها (ابن الجوزي) بقوله إن "الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، الفردوس أعلاها، ومنها تفجّر أنهار الجنة، فإذا سألتم الله تعالى فأسلوه الفردوس" (الجوزي، ٢٠٠٢م، ٨٧٣)، (فالفردوس) أسمى مرتبة في دار النعيم وكان غرض الشاعر من ذلك التضمين، مبتغياً الموت في سبيل لقاء محبوبته في الجنةِ رغم خوفه ألا يجدها هناك بقوله: (لا أدري، وكنت غائبة)، فيتوجه لله مصلياً داعياً ويبقى بصيص الرجاء في كيانه بذلك اليوم المرجو وقوعه.

ثانياً/توظيف (التراكيب القرآنية):

لم يقتصر الشاعر تضمينه على المفردات فحسب، إنما جاء بتراكيب قرآنية أيضاً بمنوال قريب من السياق القرآني المبهر، ووهب بذلك التضمين خطابه الشعري الخصوصية والانفراد؛ لخلق فاعلية وتأثير بيّن في داخل المتلقي، ومن ذلك قوله في قصيدته الموسومة "للموتِ صوت" (الزبيدي، ٢٠١٨م: ٧٥):

قلقٌ وخفق جناح ذلّ ليس يرحمه الهديل،

والوالدان غمامتان من التردد والتعلل بالأماني

الوالدان وسادتان

تهدهدان جماجم الأطفال والأمل المقال

الوالدان المطفآن يسبّحان (الزبيدي، ٢٠١٨م: ٧٦).

واستحضر الشاعر التركيب القرآني (جناح ذلّ) الوارد ذكره في سورة الإسراء من قوله تعالى "وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (١) وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢)"(الإسراء، الآية: ٢٤/٢٣)، وفيه أمر من (الله) تعالى بوجوب طاعة (الأب، والأم) والانصياع لأوامرهما والإحسان إليهما بالفعل، والقول، واليسر في معاملتهما من الصغر حتى الممات، وعدم معصيتهما مع الدعاء لهما بالرحمة والمغفرة جزاءٍ لتربيتهما، وأراد الشاعر من ذلك الاستحضار إبانة مدى بره لوالديه وطاعتهما، ومحبتهما ورمز إليهما بقوله: (غمامتان، ووسادتان، والمطفآن، ويسبحان) وإلى عدم عقوقهما وبيان دعائهما إليه، ونلحظ تكراره للفظة (الوالدان) في أكثر من موضع، فهي تشير لمدى اشتياقه وحنينه للقائهما والحديث معهما، ويجسد الشاعر رؤيته بتربص الأعداء لبلاده وكل من يريد الكيد بها قائلاً:

مرَّ الضبابُ على ضباب شوارعي

أين المفر؟

يا آخر الكلمات يخنقها الغبار ولم تزل نتف الغيوم

تغازل الأنباء..

تسبكُ ذلك النبأ العظيم..

آهٍ.. ويا لخسارة الأنهار إذ تسعى بلا حيفٍ

إلى مستنقعاتٍ غادر العصفور عنها غير آسفْ..

آهٍ.. ويا لحماقة البَرَدِ الذي ينثال فوق شوارعٍ (الزبيدي، ٢٠١٣م: ٤٧).

وفي النص المذكور تراكيب قرآنية وظفها الشاعر في موضعين، فتركيب (أين المفر) الوارد ذكره في قوله تعالى: "يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ"(القيامة، الآية: ١٠)، وكذلك تركيب (النبأ العظيم) من قوله تعالى:"عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ(١)عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ(٢) ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ(٣)" (النبأ، الآية: ٣/١) ويكشف الشاعر من ذلك الاقتباس عن (الموت) الذي وصفه بـ(الضباب) المغيم والذي يجوب شوارع الوطن في كل مكان، ولا مفر للمواطنين من ذلك القدر مع الإشارة إلى الحروب التي كانت سبباً في حدوث العديد من الكوارث التي لحقت بشعبه، ونلحظ استعماله للفظة (آه) في أكثر من موضع فهي تشير لـ(لتحسر) وحجة لحزنه وتوجعه المغروس في داخله والتي تمثلت في:(يخنقها، وخسارة، وبلا حيفٍ، وآسف، وحماقة)، ورغم ذلك ما زال شعبه متمسكاً متصدياً لتلك المعوقات. ويتناص الشاعر بالتركيب القرآني الوارد في (سورة طه) من الذكر الحكيم: "إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى" (طه، الآية: ١٢)، من قوله:

"أخلع نعليك إذا دُست على ظلِّ صبيٍ في هذي

الأرض

فالأرضُ هنا– كلُّ الأرض– طينٌ من دمع الصبيان

وإذا قست الظلَّ بطولِ النعلِ ستسرقُ من وقت

المرواح

فاخلع نعليك ولا تطأ الظلَّ بنعل

واشبر ظلك ما أحببت

ما زلت بعيدا ما زال الميعاد بعيدا..." (الزبيدي، ٢٠١٨م: ٥٦/٥٧).

وقوله تعالى (أخلع نعليك) فهو فرض منه إلى نبيه موسى (ع) عندما أراد الولوج للوادي المحرم (طوى)، والذي يأخذ منه جميع الأوامر والنواهي التي تصب في صميم رسالته من الوصايا والتعاليم إذ ألزمه تعالى "بخلعهما ليباشر تراب الأرض المقدسة فتناله بركتها"(الجوزي، ٢٠٠٢م، ٩٠١)، وذلك لقداسة وطهارة تلك الأرض المحرمة، وكان قصد الشاعر من ذلك التضمين القرآني؛ لبيان حرمة أرض بلاده العراق لكونها موطن للثقافة، والتقدم، والاختراعات، ومولد للحضارات ومنها:(الأكدية، والأشورية، والبابلية) ومنزل لكثير من الأنبياء والرسل، بالإضافة لاحتوائها مراقد أهل البيت (عليهم السلام) والعديد من الأولياء المتقين، ويواصل الشاعر تصويره لأبناء شعبه في صبرهم وعزيمتهم بمواجه المحن والظروف العسيرة والقاهرة في قوله:

في البحر..

في الضوضاء..

في الفوضى..

ولا أحدٌ سوايَ يشدّ خيط الغيمِ

كي تتناثر البأساءُ والضرّاءُ

فوق عيوننا..

أبْعِدْ هدوءكَ عن جنوني

أيها الشجر المسنُّ

لأن صبيتنا أفاقوا

لم تَعُدْ كل المقابر في روابي الأرض تكفي.. (الزبيدي، ٢٠١٣م: ٢٥).

ويتناص التركيب اللغوي (البأساءُ والضراءُ) الذي وظفه الشاعر في نصه مع قوله تعالى: " وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ"(التين، الآية: ٤/١)، فيتحسر الشاعر الحال الذي وصل اليه وطنه فأومأ اليه بقوله: (في الضوضاء، وفي الفوضى، والشجر المسنُّ) مع انتشار الأمراض والفقر، ورغم ذلك إلا أنّ أبناء شعبه قد أفاقوا واتحدوا مع بعضهم البعض، مدافعين عن أرضهم ووطنهم بشتى الطرق الممكنة، حتى امتلأت المقابر بهم جراء ذلك البذل والكفاح، وفي قصيدته الموسومة بـ"حوار بنكهة الزيتون"(الزبيدي، ٢٠٠٠م: ٢٧) يستلهم اليمين الإلهي الوارد في سورة (التين والزيتون) بقوله:

ابصرتُ شمعاً ليس يشبه شمع أمي

وشممتُ خبزاً ليس يشبه خبز أمي

حدثتها...

حدثتها والتين والزيتون يصغي

حدثتها أنا عن قدور الماء

تغلي فارغة

حتى ينام– برغم انف الجوع– آلاف الصغار..

حدثتها.. (الزبيدي، ٢٠٠٠م، ٢٨).

فاستعار التركيب اللغوي (التين والزيتون) متمثلاً بقولهِ تعالى: "وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ (٣) لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ (٤)" (التين، الآية: ٤/١)، وتنوعت أراء الرواة في معنى التين والزيتون فمنهم من وصف التين بكونه مسجد نوح(ع) والزيتون إشارة إلى (بيت المقدس)، وعن ابن عباس قال: أن (التين) هو المسجد الحرام أمّا (الزيتون) فهو المسجد الأقصى فاختلف الرواة في معناه، وعليه فالتين والزيتون إشارة لأرض فلسطين المقدسة (الجوزي، ٢٠٠٢: ١٥٦٦)، والجدير بالذكر إلى عظمة الله تعالى في المزج ما بين (التين والزيتون) بالذكر معاً لفوائدهما العظيمة، والمتنوعة لجسم الإنسان وصحته ولقد استدعى الشاعر ذلك اليمين ليؤكد ويصرح بشكوى وتوجع شعبه العراق بسبب (الحصار الاقتصادي م١٩٩٠) الذي حكم وفرض عليه، بسبب اجتياح (الكويت) فقاسى كافة أبناءه من الفقد، والجوع، والحرمان، والفقر الحاد ولامس بشكلٍ كبير فئة الأطفال؛ لعدم توافر التغذية اللازمة التي تسد رمق جوعهم المؤلم أو اضمحلالها، بالإضافة لزيادة الأمراض المزمنة والمميتة والتي أصيب بها عدد لا يعد ولا يحصى من البالغين؛ لعدم توافر المعالجة الكافية لهم.

الخاتمة:

ومن أهم النتائج التي توصل إليها بحثنا في نتاج هيثم الزبيدي:

١– لقد أضفى الشاعر هيثم الزبيدي لنتاجه الجمالي /الفني بعدًا دينيًا بقلمه الأدبي السامي، وذوقه المتميز، والمنفرد في توظيفه للعديد من الألفاظ والتراكيب القرآنية، إذ لون شعره بسحرٍ قرآني مبهر ومؤثر في القلوب.

٢– إن السبب الرئيس في توشيح الشاعر نتاجه بجانبي (النغم والإيقاع) المتعلق بالذكر الرباني لغاية قد تمثلت بقابلية السياق القرآني للتحليل، والتفسير فضلاً عن عمق المعاني، ودلالتها وقابليتها على منح القارئ (المتلقي) التلاحم والتفاعل مع ألفاظه وتراكيبه ولكي يتوشح نتاجه بالخلود، والديمومة.

٣– صرح الزبيدي عن واقعه وعمَّا يدور في خلجات نفسه مجسدًا بذلك رؤيته للحياة في سبيل استخراجها بطريقةٍ وصورة قريبة من هيئة الذكر الإلهي، فضلاً عن شوقه الحزين لبلده العراق وشجنه الدفين لما جرى عليه من حروبٍ وظروف قاهرة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- ابن كثير (٢٠٠٠م)، تفسير القرآن العظيم، ط١، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- بنداري، حسن (٢٠٠٩م)، التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة جامعة الأزهر، المجلد (١١)، العدد (٢).
- ثليثة، بليدروح (٢٠٢٢م)، التناص الديني في شعر عز الدين مهيوبي، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث، المجلد (٧)، العدد (٤).
- جزيني، مهدي عابدي، (٢٠٢٣م)، جولة في الرمز القرآني وأثره في شعر فحول الشعراء العباسيين، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد، المجلد (٦٢)، العدد (١) شباط.
- الجوزي، أبي الفرج (٢٠٠٢م)، زاد المسير في علم التفسير، ط١، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت.
- خليل، أنسام (د، ت)، الجرس والإيقاع في الفواصل القرآنية، مجلة كلية التربية للبنات، العدد (٩٨).
- زايد، علي(١٩٩٧م)، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة.
- الزبيدي، هيثم (٢٠٠٠م)، ط١، دار الكاتب، بغداد.
- الزبيدي، هيثم (٢٠١٣م)، ط١، الضباب، دار فضاءات، عمان.
- الزبيدي، هيثم (٢٠١٣م)، ط١، ما قالي لي أحد هزمت، دار فضاءات، عمان.
- الزبيدي، هيثم (٢٠١٨م)، ط١، بوتيكا اوفر سيزا، الولايات المتحدة الأميركية.
- السواح، فراس (٢٠٠١)، الأسطورة والمعنى (دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية)، ط٢، دار علاء الدين للنشر، دمشق.
- شبانة، ناصر (٢٠٠٧م)، التناص القرآني في الشعر العماني الحديث، جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، المجلد (٢١)، العدد (٤).
- شراد، شلتاغ (١٩٨٧م)، ط١، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، دار المعرفة، دمشق.
- الشهري، عبد الرحمن (١٤٣١هـ)، الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، مكتبة دار المناهج، الرياض.
- طاهر، فاطمة محمد، (٢٠٢٢م)، روابط الجمل في سورة يوسف نماذج وشواهد، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد (١٤٠) آذار.
- عبد النبي، محاسن عبد الحسن، (٢٠٢٢م)، التشويق بإيجاز الحذف في القرآن الكريم، مجلة الآداب، جامعة بغداد، المجلد (٣)، العدد (١٤٢) أيلول.
- العياضي، أحمد (٢٠١٤م)، تجليات المقدس الديني في الشعر الجزائري المعاصر (دراسة فنية)، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد (١٩).
- قاسم، نادر (٢٠٠٥م)، التناص القرآني والانجيلي والتوراتي في شعر آمل دنقل، مجلة القدس المفتوحة العدد (٧).
- قطب، سيد (د، ت)، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة.
- متلف، أسية (٢٠٠٧م)، اشتغال الرمز الديني ضمن إسلامية النص (رواية بياض اليقين لعميش عبد القادر نموذجا)، رسالة ماجستير في (الأدب العربي) نوقشت واجيزت من جامعة حسيبة بن بوعلي.

- محمود مكرم (د، ت)، سلطة الموروث الديني نحو تفكيك ثقافة الخوف، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢٣/٢/١، http://www.maaber.org/issue_january08/spotlights3.htm

References:

- .al-Zubaidi, Haitham (٢٠١٣), Room ١, al-Dabab, Dar fadayat, Amman.
- Abdul Nabi, Mahasen Abdul Hassan, (٢٠٢٢), the thrill of briefly deleting the Holy Quran, Journal of literature, University of Baghdad, Vol. (٣), issue (١٤٢) September.
- Al-Jawzi, Abu Al-Faraj (٢٠٠٢), Zad Al-Meser in the science of interpretation, Vol. ١, Ibn Hazm printing and publishing house, Beirut.
- Al-Sawah, Firas (٢٠٠١), myth and meaning (studies in mythology and oriental religions), Vol.٢, Aladdin publishing house, Damascus.
- Al-Shehri, Abdul Rahman (١٤٣١ah), the poetic witness in the interpretation of the Holy Quran, Dar Al-Manaj library, Riyadh.
- Ayadi, Ahmed (٢٠١٤), manifestations of the religious sacred in contemporary Algerian poetry (an artistic study), Journal of Social Sciences, issue (.(١٩
- Bandari, Hassan (٢٠٠٩), intertextuality in contemporary Palestinian poetry, Al-Azhar University Magazine, Vol. (١١), No. (.(٢
- Ibn Kathir (٢٠٠٠), interpretation of the great Quran, Vol. ١, Dar Ibn Hazm, Beirut, Lebanon.
- jazini, Mehdi Abdi, (٢٠٢٣), a tour of the Quranic symbol and its impact on the
- poetry of the Stallions of the Abbasid poets, professor's Journal for
- Humanities and Social Sciences, University of Baghdad Faculty of Education Ibn Rushd, Vol. (٦٢), Issue (١) February.
- Khalil, Ansam (d, t), the bell and rhythm in the Quranic commas, Journal of the Faculty of Arts, Faculty of education for girls, issue (.(٩٨
- Mahmoud Makram (D, V), authority of the religious heritage towards dismantling the culture of fear, date of review: ٢٠٢٣/٢/١;

http://www.maaber.org/issue_january٠٨/spotlights٣.htm

- muttalaf, Asya (٢٠٠٧), the work of the religious symbol within the Islamization of the text (the novel by bayad Al-iqneen by Amish Abdulkader as a model), a master's thesis in (Arabic literature) discussed and approved by Hassiba Ibn Buali University.

- Qasim, Nader (٢٠٠٥), Quranic, biblical and biblical intertextuality in the poetry of Amal Dengel, al-Quds Open Magazine Issue (٧).
- Qutb, Mr. (D, T), artistic photography in the Koran, Dar El Shorouk, Cairo.
- Shabana, Nasser (٢٠٠٧), Quranic intertextuality in modern Omani poetry, Al-Najah University for research and humanities, Vol. (٢١), No. (٤).
- Sharad, shaltag (١٩٨٧), Vol. ١, the impact of the Koran in modern Arabic poetry, Dar Al-marefa, Damascus.
- Taher, Fatima Muhammad, (٢٠٢٢), camel links in Surah Yusuf models and witnesses, Journal of literature, University of Baghdad, issue (١٤٠) March.
- Thalitha, bleidroh (٢٠٢٢), religious intertextuality in the poetry of Izz al-Din muhayyubi, Al-Resalah Journal for studies and Research, Vol. (٧), Issue (٤).
- Zayed, Ali (١٩٩٧), summoning the heritage figures in contemporary Arabic poetry, the House of Arab Thought, Cairo.
- Zubaidi, Haitham (٢٠٠٠), ١st floor, writer's House, Baghdad.
- Zubaidi, Haitham (٢٠١٣), i١, what someone told me was defeated, Dar spaces, Amman.
- Zubaidi, Haitham (٢٠١٨), Room ١, boutique of Siza, USA.

Employment (Words and Compositions) from the Quranic Context In the Poetry of Haitham al-Zubaidi.

Esraa Muhsin Hatim

Esraamhsn294@gmail.com

University of Baghdad / College of Education-Ibn-Rushd

Department of Arabic Language

ASST. PROF. Yahia Wali Fattah

yahiawalie@yahoo.com

University of Baghdad / College of Education-Ibn-Rushd

Department of Arabic Language

Abstract:

The Holy dhikr in its various words and compositions is considered one of the most valuable means relied on by poets, specifically modern poets, because the Lord's speech is based on the chest of the Holy Prophet Muhammad (peace and blessings of Allaah be upon him, his God, companion and peace be upon him), and he received that aura for his eloquence, eloquence, and the sophistication of his words and how they fit into the sentence system in a way that is full of strong influence and effectiveness, and represented one of the most important and primary pillars in the composition of the modern poem and an uninterrupted source of inspiration for the poet, and that presence leaned on the first side on the poet's and his nobility and sobriety in coloring his texts from the iceberg of that holiness, and this appeared to us in the product of the poet Haitham Zubaidi, as he immersed his texts from the iceberg of the Holy Quran, and varied Our study focused on the mechanism adopted by Zubaidi in his evocation of those Quranic compositions and words and how he was able to express himself through them, denouncing his reality and the reality of his painful(Iraqi)society.